٨٨-٢٩

أصول
الفلسفة الاشراقية

عند شهاب الدين السهروردي

تأليف

الدكتور محمد علي أبو ريان
أستاذ ورئيس قسم الفلسفة
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير - اسكندرية

تصدير الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

يا قيوم، أيدنا بالنور، وثبتنا على النور، واحشرنا إلى النور، واجعل منتهى مطالبنا رضاك، واقصى مقاصدنا مايعدنا لأن نلقاك. ظلمنا نفوسنا، لست على الفيض بضنين أسارى الظلمات بالباب قيام ينتظرون الرحمة، ويرجون الخير، الخير دأبك اللهم، والشر قضاؤك .... بارك في الذكر، وادفع السوء ووفق المحسنين وصل على المصطفى وآله أجمعين .

(من مقدمة هياكل النور للسهروردي الاشراقي)

مقدمة

الطبعة الثانيـــة

وارحمتا للعاشقين تكلفـــوا ستر المحبة والهوى فضـــاح

بالسر ان باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تبـــاح

ان المحنة التي عاناها هذا الفيلسوف الصوفي الشاب والمصير المحزن الذي انتهى اليه ثم الاسباب الحقيقية لهذه المأساة كل هذا مما ينطوي عليه هذان البيتان من الشعر اللذان قيلا على لسانه قبل نهايته بقليل ، وكأنه كان يتنبأ بهذا المصير .

ولقد اشرنا في مقدمة الطبعة الاولى الى الظروف التاريخية التي عاصرت ظهور مذهب الاشراق ـ وهي تتمثل في اندحار المذهب الفاطمي الشيعـــي وسائر مذاهب الباطنية ـ بعد تولي صلاح الدين لسلطة الحكم في مصر وما ترتب على هذا من عودة حاسمة ونهائية الى مذهب اهل السنة والجماعة ، لا سيما وان ظروف العالم الاسلامي في هذه المنطقة حينذاك ـ والصليبيون يهددون الامة الاسلامية في عقر دارها وفي مركز انبعاث دعوتهـــا في الشرق الادنى ـ كانت تتطلب الوقوف بحزم امام تيـارات التفرقة العقائدية التـي تسللت الى غمار الجماعة الاسلامية عن طريق آراء الباطنية التي اقحمت على الفكر الاسلامي الديني مدفوعة ببواعث حاقدة هدامة يرجع معظمها الى حركة التعصب الشعوبية المبكرة التي تزعمها الفرس واعلنوها حرباخفية على العرب والاسلام .

على ان الباحث في تاريخ انتشار الدعوة الاسلامية في المشرق والمغرب تستوقفه حقائق لا يمكن تفسيرها الا على ضوء الدراسة المكانية لسير هذه الدعوة ، او بمعنى آخر دراسة « الخريطة الروحية لانتشار الاسلام في هذه المنطقة ، اذ لا يمكن ان نتجاهل ـ في اي دراسة علمية ـ تأثير البيئة علـــى العقائد والافكار » .

ولما كان الاسترسال في الكلام عن هذه الناحية لا يتيسر في عجالة كهذه ، فانه يكفينا الاشارة الى أنه بينما نجد الافكار تأخذ طريقها كلما اتجهنا غربا الى البساطة والسلاسة في اطار من الظاهرية والتلقائية الفطرية ، نجد الطريق الى المشرق الاسلامي وقد تعقدت فيه الافكار وتشعبت وتداخلت معها اراء غريبة واستخدمت في تناولها أساليب التأويل والاستبطان بكل ما تحمله في طياتها من أهداف ظاهرة أو مستترة .

فاذا رسمنا خطا وهميا يتجه من الشمال الى الجنوب ليفصل بين المشرق الاسلامي والمغرب الاسلامي فان هذا الخط ـ الذي يمثل منطقة الحياد ـ سيقع في مصر والشام مع ميل الى المغرب في مصر ، وميل الى المشرق في الشام. وتطبيقا لهذا الوصف نجد العقيدة الاسلامية تكتسي بطابع البساطه في شمال افريقيا ، ويتمثل هذا في اعتناق اهل هذه البلاد لمذهب مالك في الفقه ، وتمسكهم بموقف اهل السنة والجماعة ، وعزوفهم عن التيارات الباطنية ومذاهب التشيع بحيث انه لم يبق أي أثر للمذهب الفاطمي في شمال افريقية وفي مصر بعد اندحاره سياسيا وعسكريا ، وكذلك في مجال التصوف ، فقد بدأت المدرسة الاشراقية في الاندلس عند ابن مسرة ، وأبو مدين شعيب الانصاري، وتأثر بها ابن عربي ، ولكن هذا النسق من التصوف الفلسفي لم يكتب له البقاء في المغرب الاسلامي فقد ـ هاجر ـ دون رجعة ـ مع ابن عربي ليصب في المشرق . وقد يكون السهروردي قد التقى مع ابن عربي في حلب ـ فقد تواجدا في نفس الوقت في هذه المدينة .

وعلى هذا فنحن نلاحظ اختفاء الجانب الفلسفي العميق في مذاهب الاشراقيين المغربيين أمثال عبد السلام بن مشيش وأبي الحسن الشاذلي وتلامذته ، بل ونجد انهم قد ربطوا موقفهم نهائيا بتصوف اهل السنة والجماعة وذكروا استمدادهم المباشر من الكتاب والسنة وكتاب قوت القلوب وتصوف الغزالي ، بينما نجد الموقف الاشراقي في المشرق يتعقد فيلتاث بدعاوى الباطنية ويقبل نظرية الامامة العالمية ووحدة الوجود وكذلك وحدة الاديان الخ ... فيكون هذا التعميق المفكك سبيلا الى ظهور فرق جديدة في المنطقة يشجب بعضها وحدة الامة الاسلامية ويمضي بالعقيدة الى اغوار سحيقة متعارضة ، تظهر اولا في منطقة الشام وتتدرج الى العراق وايران وتنحسر عند غربي ايران لتواجه سدا جغرافيا لا يرشح ، فيكون ذلك سببا في تحصن المذهب السني في بلاد الافغان في شبه جزيرة عقائدية سنية يحيط بها المد الباطني والشيعي من كل جانب .

ويلاحظ انه في العهود التي يسيطر فيها المد السني في منطقة المشرق تلوذ المواقف المغايرة اما بجزر عقائدية في مناطق جبلية وعرة ـ كما هو الحال بالنسبة للنصيرية والدروز في الشام ، واما بأن تنطلق لتختفي بعيدا

عن الانظار في منطقة الرواسب العقائدية في الخليج العربي (١) فهذه المنطقة تنطوي بحق على بقايا مندحرة من اشتات من المذاهب القديمة .

واخيرا فان هذه المواقف قد تتشبث بوجودها وتواجه الوانا من العنت والاضطهاد في صبر وألم كما هو الحال في جنوبي العراق ، ولكنها تقف وقفتها الاخيرة لتحتمي بوعورة الطبيعة في ايران فتصبح هذه البلاد معقلا اخيرا لها يموج بشتى العادات والتقاليد المرتبطة بالتشيع ، ويصدر الى العالم الاسلامي موجات من المعارضة الايديولوجية للموقف السني ، ولا يلبث بعضها أن ينفصل عن موكب الاسلام كالبهائية مثلا ، ثم قد يتجه بعضها الاخر وجهه غير اسلامية كما حدث بالنسبة للمولوية والبكتاشية (على الرغم من انتشار الفرقة الاخيرة في منطقة تركية فيما بعد) فقد اختلفت تعاليم اتباعها بالمسيحية .

هذه فكرة مجملة عن أثر العامل الجغرافي ـ مرتبطا بالتراث الحضاري القديم في هذه المنطقة ـ في تحديد مصير الدعوة الاسلامية والفكر الاسلامي الديني في اتجاهه الى كل من المشرق والمغرب . وقد امكن لنا ـ عن طريق هذا الاسلوب في التفسير ـ ان نلقي مزيدا من الضوء على التطور التاريخي للموقف الاشراقي بين المشرق والمغرب ، هذا مع تسليمنا بوحدة المصدر واعني به الاصل الافلاطوني القديم ، فلقد بينا في اكثر من موضع كيف ان الاشراقية ليست سوى الصورة الاسلامية للافلاطونية أو هي ـ على وجه الدقة ـ المدرسة الافلاطونية في مرحلتها الاسلامية (٢) .

ولقد عنينا في هذه الطبعة بأن ندخل مزيدا من التنقيح والاضافة على النص.

وان نضع للكتاب فهارس تفصيلية للاعلام والمصطلحات والمراجع .

وفي حقل الدراسات الاشراقية ، اخرجنا كتاب « هياكل النور » .

ونعد العدة لاعادة طبعه مع شرح الحكيم الدواني ، وكذلك اخرجنا كتاب « اللمحات في الحقائق » ، وسيليه ان شاء الله كتاب « الالواح العمادية » .

اما هذا الكتاب فانه يشتمل على قسمين : **القسم الاول** عن السهروردي وعصره ومدرسته ومصادر مذهبه . اما **القسم الثاني** فقد عرضنا فيه مذهب السهروردي في اسهاب من حيث تحديد مدلول الاشراق ،

ـ وكذلك في اليمن الى حد ما حيث يوجد الزيود المعتدلون .

٢ ـ راجع خاتمة الكتاب

وحقيقة العالم النوراني ونور الانوار ، وعالم المادة ومصير النفس ، ومشكلات النبوة والاحلام والتناسخ ، وانتهى بنا البحث الى خاتمه اوجزنا فيها النتائج العامة للدراسه . ونامل ان شاء الله في اخـراج بحث جديـــد جامع عن الموضوع (١) .

وهذا وقد نعي الينا ــ والكتاب ماثل للطبع ــ وفاة الزميل العزيـــز **الدكتور محمد مصطفى حلمي** (٢) الاستاذ الجامعي الاصيل والمفكر الممتـــاز صاحب بن الفارض والاثير عند الحق بالمواجد والاذواق المبرقة ، رحمه الله رحمة واسعة . والى روحه الطاهرة ــ والحزن يعتصرنا على فقد هذا العالم الجليل ــ نتوجه بخالص الدعوات وهو في الطريق الى جنة الخلد جزاء ومآبا.

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » .

نسأل الله حسن المآب وان يلهمنا التوفيق والسداد .

د . محمد علي أبو ريان

بيروت في أول آذار سنة ١٩٦٩

---

٢ ــ بتكليف من المجلس الاعلى للفنون والاداب بمناسبة مرور ثمانمئة سنة على وفاة صاحب الاشراق .

٢ ــ شغل الاستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمي كرسي الاستاذيـــة فى الفلسفة الاسلاميـــة بجامعة القاهرة حقبة طويلة من الزمن وتولى التدريس بمعهد الدراسات الاسلامية فـــي القاهرة ــ وتتلمذ على الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرزاق ، ومن اهم مؤلفاته : عمر بن الفارض والحب الالهي ــ والحياة الروحية فى الاسلام .
وقد وافته المنية فى يوم الجمعة ٢٠ ذي القعدة عام ١٣٨٨ هـ الموافق ٨ شباط عـــام ١٩٦٩ ميلادية .

الاهداء

إلى القلب الرحيم الذي ودع هذه الدار

وأنا مغترب إلى طلب العلم

الى والدتي